حدود التفسير والتأويل في ترجمة معاني القرآن الكريم في ظلّ المقاربات اللسانية الغربية

بن عبد النور أحمد*

الرّقم التعريفي للمقال: DOI: 10.33705/1111-000.010.009

الملخص: يهدف هذا البحث إلى تبيان دور الترجمة الذي لا يقف عند الحدود اللغوية ولا عملية المقابلة بين المفردات، ولكنه يتجاوزها إلى مجموع مكونات عملية النص **"المصدر/ الهدف"** والعلاقة البينية التبادلية بينهما، أي كل ما يرسم شكل الموقف الاتصالي وعناصره المشتركة، وكذا تجلّيها الخاص مع النص القرآني لدى ترجمة معانيه، علما أنّ الفرق يتمثّل على صعيد النظرة إلى العالم وكذا الخصوصية الحضارية والثقافية والاجتماعية.

والإشكال المطروح هو مدى إمكانية تحقيق هذا النقل مع النص القرآني: فإذا كانت ترجمة الأدب صعبة، ويذهب البعض إلى أنّ ترجمة الشعر خصوصا تكاد تكون مستحيلة فماذا نقول عن ترجمة مع معاني القرآن؟ وهل يتبع المترجم نفس المنهج في النقل، عبر إسقاط النظريات التي تمخضت عن دراسات الترجمة واللسانيات بشكل عام في العالم الغربي أثناء ترجمة معاني القرآن الكريم، وانطلاقا من آراء المنظرين العرب القدماء.

الكلمات الدلالية: الترجمة؛ معاني القرآن؛ التأويل؛ تحليل الخطاب؛ اللسانيات.

Abstract :

The aim of this research is to show the role of translation and to identify the obstacles and difficulties in the translation of the Quranic text into English, and its manifestations, in terms of the worldview and the level of cultural, socio-cultural specificity. As well as of the literal and figurative style.

The question to pose is whether it is possible for the translator to adopt the same approaches and theories conceived by the translation studies in the Western World with the translation process of the meanings of the Koran, and with reference to the views of ancient Arab theorists.

Index Terms: Meanings, Holy Quran, Translation, Problems, Theories.

•المقدمة:

* معهد الترجمة: بن عكنون – الجـــامعة: الجزائر 02

التفاعل حتمية إنسانية لا مفرّ منها بين الثقافات عبر عاملي التأثير والتأثر، والترجمة من أدوات هذا التفاعل الثقافي والحضاري الخلاّق بين الشعوب والأمم، وهي قوةٌ محركة لعجلة الإبداع، باعتبارها عملا إنسانيا يتم بين ثقافتين ولغتين مختلفتين.

بدأت الترجمة، منذ بدايات الستينيات، تتأسس كعلم منفصل عن اللسانيات التطبيقية بمناهج وقواعد وأدوات نظرية وتطبيقية خاصة به، ونشأت ككيان مستقل بمجال نشاطه عن النظريات الأدبية واللسانية وكانت لها نصيتها ومفاهيمها وتصوراتها الخاصة.

إنّ ما ينشده المترجم هو إيصال دلالات المعنى بنفس القدر من الإيحاء بغية إحداث نفس القدر من التأثير الحاصل مع قارئ النص الأصلي على قارئ النص المترجم، أو على الأقلّ التعريف بالعمل الأصلي.

•قابلية ترجمة القرآن الكريم:

يعتقد بعض النقاد جازمين باستحالة ترجمة القرآن الكريم احتكاما لآراء دينية وفتاوى، ومنهم – ممن يجيزها – يفرض شروطا معينة:

« Even today, there is still a strong and influential school of thought that subscribes to the view that the Qur'ān cannot be translated and that any existing 'translations' of it are illegitimate. Many believe that if it is to be translated at all, the Qur'ān can only be translated by a Muslim. » (1)

الترجمة: لا زالت هناك مدرسة فكرية قوية ومؤثرة حتى الآن تتمسك برؤيةٍ مفادها أنّ القرآن غير قابل للترجمة، وأنّ أية " ترجمة " له تعتبر غير شرعية. ويعتقد العديد بأنّه إن تمّت ترجمته بالنهاية، فيجب أن يكون المترجم مسلما.

إنّ من أهم المآخذ على مترجم القرآن، وإن كان من المتمرّسين، عجزه على نقل إيحاءاته ونسقه اللذين ينفرد بهما بما لا يمكن للغة المترجم إليها أن تجسدهما، بالنظر للاختلاف الديني أساسا، وبما يحمله من أبعاد ثقافية واجتماعية ولغوية تتعلق بالنظام الصوتي والصرفي والنحوي والمعجمي، وذلك لتعذر وجود المقابل اللفظي والدلالي أو المكافئ المعنوي والثقافي.

يركز الجاحظ أكثر ما يركّز على الجانب الجمالي الفني " **المعجز** " في لغة العرب التي لا يمكن نقلها، إذ أنّ شكلها لا يُستطاع أن يضاهى عند الأقوام الأخرى.

وقد قال الجاحظ باستحالة ترجمة الشعر، وأقرّ بإمكانية ترجمة الفكر على مضض، مما رآه من قصور فيها، وأراد تبيان عدم قابلية الكتاب المقدس للترجمة إذ تساءل: " فكيف لو كانت هذه الكتب كتب دين وإخبار عن الله – عز وجلّ-بما يجوز عليه مما لا يجوز عليه.... و متى لم يعرف ذلك المترجم أخطأ في كلام الدين،

والخطأ في الدين أضرّ من الخطأ في الرياضة والصناعة والفلسفة والكيمياء وفي بعض المعيشة التي يعيش بها بنو آدم" (2)

ويحتج في ذلك قائلا بأن الترجمان على حصافته لن يحقق أبدا الغرض من النص الأصل فالترجمان لا يؤدي أبدا ما قال الحكيم، على خصائص معانيه، وحقائق مذاهبه، ودقائق اختصاراته وخفيات حدوده، ولا يقدر أن يوفيها حقوقها، ويؤدي الأمانة فيها، ويقوم بما يلزم الوكيل ويجب على الجريّ، وكيف يقدر على أدائها وتسليم معانيها، والإخبار عنها على حقها وصدقها، إلاّ أن يكون بالعلم في معانيها، واستعمال تصاريف ألفاظها، وتأويلات مخارجها" (3)

ومنه نستشف فداحة الخطأ عنده، وتقف وراء هذه التحفّظات، كما ذكرنا آنفا مسألة شرعية وفلسفية: إذ وقف في وجه " **المعتزلة** " الذين نبذوا " **الإيمان الأعمى** " دون الاحتكام إلى أدوات العقل، وكان أن أرادت تلك الجماعة الإسلامية ترجمة القرآن إلى اللغات الأخرى وفقا لرؤيتها الفكرية، وكذلك دفاعا منه (الجاحظ) عن اللغة العربية ضد المد الفارسي الذي كان يراه عنصرا دخيلا.

وفي مناظرة مع أبي بشر متّى الذي قال: (والنحو لِمَ أنظر فيه؟) - بل إنه لا بدّ من قليل اللغة من أجل الترجمة، ومع أنّه يقرّ بأن المعاني تحصل بالعقل والفحص والفكر -الذي نفصح عنه باللغة -ردّ أبو سعيد السيرافي قائلا: " وهو أن تعلم أن لغة من اللغات لا تطابق لغة أخرى من جميع جهاتها بحدود صفاتها، في أسمائها وأفعالها وحروفها وتأليفها وتقديمها وتأخيرها واستعارتها وتحقيقها وتشديدها وتخفيفها وسعتها وضيقها ونظمها ونثرها وسجعها ووزنها وميلها وغير ذلك"(4)

نلاحظ بأن من عارض الترجمة ومن قيّد الترجمة وأطّر لبعض شروطها أساسا رجال دين، وإن كان لهم باع في الدراسات اللغوية مثل الجاحظ، فهم لم يكونوا مترجمين.

وعند التطرّق إلى ما أفرزته الدراسات الترجمية الحديثة، كمحاولة لإسقاطها على مبحث ترجمة القرآن من أجل الإجابة على مدى إمكانية تطبيقها من عدمه على هذا المبحث الخاص – نرى بنحو بعض اللسانيين الغربيين في نظرياتهم الحديثة نفس المنحى:

ابتداءً، تكمن الصعوبة عند نايدا (5) فيما سمّاه آليات النقل (mechanism Transfer) وهي الأصعب على الإطلاق ، بالنسبة إليه، على التحليل.

وعند تطرقه (لحدود ما يمكن ترجمته) (limits of translatability)، يعتقد كاتفورد (Catford) بأن التعذر في الترجمة يعود في جوهره إلى استحالة بناء الصورة المناسبة لمضمون النص الأصل وسياقاته.

ويرى لادميربال استحالة الترجمة بسبب (شكل الدال) (Forme Du Signifiant) في الأشكال الأدبية والعروض والبلاغة داخل النص المصدر، والذي يشكل الخصوصية الدلالية والثقافية لتلك اللغة،

ولكنه يرى بأن هذا الأمر لا يشكل حاجزا، بل بإمكان للمترجم تعويضه ببدائل لغوية وتعبيرية مثل التكافؤ، رغم اصطدامه بما سلف ذكره.

وبالرجوع لموضوع ترجمة معاني القرآن الكريم، فإنّ من أهمّ معيقاتها هي العنصر الشكلي الجمالي كعنصر دال لغويا ذا قيمة تعبيرية، إذ أنّ النص القرآني -سواء على صعيد المفردات أم التركيب والعلاقات النحوية -كرّس صورا بلاغية وأساليب بيانية ومجازات واستعارات تستعصي على الفهم، ولا يمكن لغير الناطقين بالعربية تصورها وتمثّلها بما يناسب ثقافتهم الخاصة بهم، وهذه الصور ترفض كل أشكال التحوير لأنّها أصيلة في ذلك النص، وفي هذا، يقول رومان جاكوبسون:

« It is more difficult to remain faithful to the original when we translate into a language provided with a certain grammatical category from a language devoid of such a category.» (6)

الترجمة: من الصعب أن نبقى أمناء للأصل عندما نترجم إلى لغة ما تحتوي على إحدى المقولات النحوية التي تجهلها اللغة الأخرى.

ومن معوقاتها أيضا ما تفرضه الشروط الحضارية المختلفة وظروفها التي أحاطت به.

وتصبح الترجمة مستحيلة – حسب جورج مونان -لأن اللغة ذاتها لا تضمن التواصل للناس فيما بينهم وحتى داخل اللغة الواحدة.

« It is founded on the conviction, formal and pragmatic, that there can be no true symmetry, no adequate mirroring, between two different semantic systems. » (7)

الترجمة: **ولقد** تأسّست قناعة، شكلية وبراغماتية، أنه لا يمكن أن يكون هناك تناظر حقيقي، ولا تناسب ملائم، بين نظامين مختلفين.

لكن، وبالرغم من أنّ الأنظمة الدلالية متمايزة، فلا إلتقاء أبدا، إلاّ أنّ هذا الأمر الذي يمسّ كل الانتاجات اللغوية، يضيف شتاينر (8) أخذا برأي رومان جاكبسون، يمكن أن يعوضه (النقل الخلاق) (Creative Transpostion) كحلّ للمعضلة.

نفهم من كل ما سبق طرحه أنه – وفي معرض إسقاط المقاربات التي تمّ تصوّرها في دراسات الترجمة – يمكن تبنّيها في الخطاب القرآني؛ على أساس أنّ جميع المنظّرين سواء أكانوا من اللغويين أم اللسانيين أم رجال الدين، وبشكل عام، يجمعون على أن **"معضلة"** التعذر تقع مع نوعين:

لساني وثقافي (Linguistic and cultural untranslatability).

حيث أنّ لكلّ ثقافة دلالات موحية يفهمها أبناؤها – فهم يساهمون في صنعها -وتكون مشحونة بالدلالات الحضارية والثقافية، إلاّ أنّها جديدة، وبالتالي غامضة ومجهولة بالنسبة لأبناء الثقافات الأخرى

المستقبلة لها، وعند ترجمة نص يتضمن ذلك الإرث، ينبغي للمترجم أن يوضحه، ويمكن تجاوز هذا الاشكال بالتعريف بتلك الثقافة عموما عبر التعمق في دراسة الثقافة المنقول منها/إليها لإيجاد التعريف – الترجمة كعامل تواصل -المناسب والمنصف لها.

ويفترض من المترجم كذلك أن " يجمع بين الدقة من الناحية اللسانية والفن من الناحية الجمالية بحيث تتطابق الناحيتان.....من أجل أن تنقل إبداعا أصليا تتحكم فيه بالإضافة إلى المعايير الوظيفية واللسانية البحتة، معايير جمالية أيضا" (9)

وبالرغم من المعارضة والامتناع [وعلى مضض]، غير أن الأمر حدث، ولم يحصل في الأزمنة المعاصرة، بل تعدّاه إلى زمن الرسول عليه الصلاة والسلام، بإعطائه الضوء الأخضر لسلمان الفارسي في ترجمته، بعد استئذانه له (رضي الله عنه).

أي أنّ المنع " نسبي" وليس «مطلقا "، فعلينا بالمحصلة دراسة النص القرآني ضمن العملية الترجمية.

• تحليل الخطاب القرآني والترجمة:

زيادة على ذلك، يحتل تحليل الخطاب القرآني دورا كبيرا في الترجمة، وأهميته بالغة الأثر قبل البدء بعملية الترجمة من أجل تبسيط المحتوى قصد فهم أشمل وأعمق للموضوع دلاليا وقيمته الجمالية وشكله، " ولشكل النص أهمية بالغة عند عملية التحليل هذه، فالشكل بالنسبة لبعض اللغات، كاللغة العربية، أهمية تفوق المضمون " (10)

ويؤكّد هذا المنحى قول حاتم باسيل (hatim Bassil) عن الخطاب وأهمية تحليله:

facilitates optimal transfer and renders the much sought-after EQUIVALENCE an attainable objective" (11)

الترجمة: والوعي بما يتضمنه الخطاب يسهل النقل الأمثل ويجعل من التكافؤ، الذي ينشده المترجم، هدفا يمكن تحقيقه.

إذن، فتحليل الخطاب القرآني عملية معقدة يتم بها تفكيك شفرة معانيه -بإتباع مجموعة من الإجراءات الشكلية -إلى مكونات جزئية، يسمح لنا بمعرفة بنيته، الداخلية والخارجية، أي من ناحية الشكل والدلالة، بالإضافة إلى معرفة الأسس المعرفية والثقافية والفكرية، فننفذ بذلك إلى المبنى والمعنى.

والمهم كذلك معرفة حدود حريتنا في التأويل، من أجل نقل صورة صحيحة عن الجوهر المتخفي وراء الخطاب. "وقد اتجه البحث فيما يعرف بتحليل الخطاب إلى استنباط القواعد التي تحكم مثل هذه الاستدلالات أو التوقعات الدلالية." (12)

وهذا يتطلب معرفة موسوعية نافذة لفهمه، على اختلاف أنواعه. وهذه الدراسة تتمّ ضمن حدودها الاجتماعية والثقافية، إذ أنّ هناك " شبكة معقدة من العلاقات الاجتماعية والسياسية والثقافية التي تبرز فيها الكيفية التي ينتج فيها الكلام كخطاب ينطوي على الهيمنة والمخاطر في الوقت نفسه." (13)

ومنه نخلص إلى أنّ تحليل الخطاب أساسٌ لتحقيق ترجمة مقبولة.

"The extent and nature of translation work depends, of course, on the premises of the researcher's discourse analytical framework – and, in particular, its view of the relationship between discourse and social practice." (14)

الترجمة: " فمدى العمل المترجم وطبيعته يعتمدان طبعا على الافتراضات المنطقية للإطار التحليلي للخطاب لدى الباحث، وبالأخص صورة العلاقة ما بين الخطاب والخبرة الاجتماعية. "

- **تأويل النص القرآني وتفسيره**:

يعتقد المسلمون جازمين بأن القرآن نزل بلغة عربية مقدّسة ذات صبغة إلهية متحررة من محدودية اللغة العربية وقيودها وثقافاتها الضيقة، وبأسلوب خطابي أُريد له العالمية ليوجه رسالة جامعة إلى البشر كافة، متجاوزا جميع الثقافات الإنسانية على مرّ العصور والأزمنة. ومن ثمّ، فإنّ ترجمته إلى كل لغات العالم تشترط عدم تحريف ذلك الخطاب الإلهى، وما يتم ترجمته ليس قرآنا وليس تفسيرا له بل محاولة لترجمة معاني مفرداته وجمله، فاحترام النص القرآني يتضمن اعترافا – وانطلاقا من العنوان – ولو" ضمنيا " بأن هذا النص هو ترجمة ولا يمكن أبدا أن يحلّ محلّ النص الأصل .

« If and when used, translation would function merely as a commentary, explaining or paraphrasing the source text but not replacing it. Translations of the Qur'ān may thus help the reader, for example non-Arab Muslims who have to learn to read and recite the Qur'ān in Arabic, understand its meanings, especially if more than one translation is read in conjunction with the original in Arabic. The Qur'ān in translation is thus considered an aid to understanding, but is not in itself 'holy' » (15)

الترجمة: " إن أستعملت الترجمة، ومتى تمّ ذلك، فإنها قد تستعمل فقط كتعليق شارح للنص المصدر على أن لا يعوّضه. وبهذا قد تساعد ترجمات القرآن الكريم القارئ – غير المسلم مثلا – والذي يجب عليه أن يتلو القرآن باللغة العربية ويفهم معانيه، خاصة حينما يقرأ الترجمة بالموازاة مع النص

القرآني باللغة العربية، فتعتبر الترجمة في هذه الحال عاملا مساعدا في الفهم، لكن لا يمكن باي حال إعتبار تلك الترجمة " مقدسة ".

إذ نرى انّه مثلا فيما خص الإنجيل: ما عادت النصوص المكتوبة بالعبرية القديمة أو اليونانية القديمة موجودة أو مفهومة حتى، وتمت الاستعاضة عنها بالترجمات، التي وإن ساهمت في صقل اللهجات الأوروبية وتهذيبها والارتقاء بها إلى مصاف اللغات الحيّة، إلاّ أنه يُنظر إليها على أنها هي ذاتها "**الكلام المقدس**"-الذي تتمّ به الصلاة في المعابد والكنائس والأديرة، حتى من دون وعي أو تفكير مسبق بمدى قدسية تلك الألفاظ.

وحصر علماء الدّين المسلمين مهمة ترجمة القرآن إلى لغات العالم أساسا في محاولة ترجمة كلام الله دون زيادة أو حذف أو تبديل أو تفسير تنزيها لكلام الله عن كلام البشر ويجب أن تسمى عندهم بِـ (ترجمة معاني القرآن الكريم).

وهكذا، لا يرقى المترجم إلى درجة الكمال في الترجمة، لا لقصور في الترجمة، بل لأنها مجرد " **محاولة** " للترجمة نظرا لاختلاف لغة القرآن الكريم وقدسية ألفاظه.

ويبقى المترجم، داخل حدود النص القرآني، ملزما بتوظيف العناصر اللسانية المقترنة بالفهم والتي تخدم الفعل الترجمي، إذ لا تتم الترجمة من دون فهم، كما أنّ الفهم شكل من أشكال الترجمة، بل إنّنا نلجأ للترجمة لأننا عاجزون عن الفهم، وثنائية **الفهم/الإفهام** هي محور العملية الترجمية التي تعتبر حوارا متبادلا بين منظومتين لغويتين، وبما أنّ الترجمة أحد أعمدة التواصل الذي يستدعي التأويل الصحيح، وهذا ما لا يجب إغفاله، إذ تلجأ إليه الترجمة لتتجاوز مشكلاتها.

وبما أنّ علاقة النص والترجمة هي تبادل وظيفي فكلاهما يمدّ بعضهما البعض بعوامل القوة والاستمرارية، فإنّ التساؤل قائم حول كيفية تخليص دراسات النص القرآني من شوائب سوء فهمه وتكييفه ايديولوجيا وسياسيا لتجنب المنحى السلبي بالمعنى قدر الإمكان من أجل التأسيس لتأويل حقيقي ومنطقي باستخدام وسائل عقلية.

وهذا التساؤل يستدعي تدخل التأويل.

- **مفهوم "التفسير" و "التأويل" وأهميتهما في العملية الترجمية:**

والكلام عن (التأويل) يقترن بمصطلح (التفسير) إذ " يناقش علماء القرآن الدلالة الاصطلاحية لمفهوم التأويل عادة بمقارنته بدلالة مصطلح آخر هو ' **التفسير**' ويحددون العلاقة بينهما بأنها علاقة العام بالخاص، إذ يتعلق التفسير عندهم بالرواية بينما يتعلق التأويل بالدراية، أي بعبارة أخرى يتعلق التفسير بـ " النقل " في حين يتعلق التأويل بالعقل." [16] ، فالنقل هو مجموع البنى الضرورية للنفاذ إلى عالم النص وفضّ مغاليقه وصولا لتأويله الصحيح.

فما الفرق أولا بين مفهوم " التفسير" و " التاويل"؟

التفسير عموما إيضاح معاني الكلمات والتفصيل فيها، ويستلزم تحليلها فهما أوفى للنص، فهو " شرح لنص سهلٍ هدفهُ حل المشكلات ذات الطبيعة المعجمية الصرفة، لذلك يلجأ إلى إعطاء ما يظنه مرادفاً لبعض الألفاظ، أو إلى الشرح بالسلب وإعطاء النقيض والمضاد لتلك الألفاظ، وقد يلجأ أحياناً (في الحالات العليا من فعالية التفسير) إلى تقديم الشواهد من النصوص الأمهات لتوضيح ما أشكل من المعاني والألفاظ." (17)

بيَّن الرسول صلى الله عليه وسلم الكثير من معاني القرآن، ولم يُبيّن كلها، لأن من القرآن ما استأثر الله تعالى به في علم الغيب عنده، ومنه ما يعلمه إلاّ الراسخون في العلم ومنه ما تعلمه العرب من خلال معرفتهم باللغة العربية، ومنه ما لا يعُذر أحد بجهله كما صرّح بذلك ابن عباس فيما رواه عنه ابن جرير وإنما فسَّر رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض الذي أخفاه الله عنهم وأطلعه عليه وأمره بتبيانه لهم وفسَّر لهم كذلك كثيراً مما يندرج تحت القسم الثاني، وهو ما يعلمه العلماء بفضل اجتهادهم.

والتأويل عملية عقلية ذاتية تهتم بالتحليل انطلاقا من خلفية شخصية، سواء دينية كانت أم ثقافية أم اجتماعية أم تاريخية. ويتعلق الأمر خاصة بأنواع النصوص الموغلة في الرمزية وفي التصوير، وكذلك البالغة الغموض، أي أنّ التأويل" الذي يليق بهذه النصوص الغنية، اجتهادٌ شخصي في فهم تلك النصوص، ومحاولة لتحصيل المغزى، أو المعنى الخاص بالقارئ، بل قل إنه اجتهاد يحاول أن ينحاز إلى معنى يفضله القارئ من بين معانٍ ممكنة أخرى يفيض بها النص، أو إنتاج معنى جديد لم يسبق لأحد من قبل أن اكتشفه" (18)

ومنه نستنتج أنّ التأويل منطلق ضروري لفهم أي خطاب قصد الإحاطة بمقاصده عبر البحث في الزوايا المضمرة التي ساهمت في تشكيله.

يقول غادمير(Gadamer) أنّ معنى التأويل والفهم هو أنك تفهم وتعبر دلالة النص حسب أقوالك وتعبيراتك الخاصة.

وبالقياس، تعتبر الترجمة إحدى نماذج التأويل الهامة لأنّها ترغمنا على إيجاد اللفظ المناسب وإعادة بناء المعنى الحقيقي للنص أيضا وتشكيله داخل أفق لغوي مغاير تماما.

وفيما يخص نقد الخطاب الدّيني، فهو اجتهاد ناقد عبر بلورة أفكار مشحونة بجدلية تأويل النص وهذا ما يؤسس البنى لآلية التأويل الموضوعي، فالتأويل " الذي يليق بالنصوص الغنية، اجتهادٌ شخصي غرضه محاولة تحصيل للمغزى، أو المعنى الخاص بالقارئ، بل هو إنه اجتهاد يحاول أن ينحاز إلى

معنى يفضله القارئ من بين معانٍ ممكنة أخرى يفيض بها النص، أو إنتاج معنى جديد لم يسبق لأحد من قبل أن اكتشفه " [19]

والتأويل مهم في مستوى اللغة الواحدة ابتداءً، إذ يقول هايدغر(Heidegger) بأن " الكلام نفسه إذا نطق به وكتب داخل اللغة الأم يكون في حاجة لتأويل، فإذا نطق به وكتب داخل اللغة الأم يكون في حاجة لتأويل، وبالتالي فإن هناك بالضرورة ترجمة وذلك داخل اللغة الأم ذاتها " [20] ".

فاللغة عمل العقل(**Die Arbeit Des Geistes**) حسب (Hamblodt)، وهي الصوت المنطوق الذي نعبر به عن الفكر" [21] ، إذ أنّها ليست مقصورة على وظيفة التوصيل العملية كما في لغة الحيوانات (an animal-like functional communication system) ولكنها أداة للتفكير الحر (means of thought) والتعبير الذاتي(self-expression)

ما نلاحظه هنا أن " هامبولت " قد جعل من اللغة الوسيلة التي تمكن العقل من صياغة الفكر وحصر معاني تلك الألفاظ وايضاحها، وانطلاقا من ذلك يتمكن الانسان من التفكير والتعبير وتبليغ أهدافه للآخرين والتواصل معهم.

وبالكلام عن القرآن الكريم، نجد هذا الإشكال مطروحا وبقوة بين مختلف المذاهب الدينية، ولنأخذ مثالا من تفسيرين لآية بنى عليها الشيعة حكما، بل وأساسا عقائديا يخالف أهل السنة:

" إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّـهُ وَرَسُولُهُ وَٱلَّذِينَ آمَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ " سورة المائدة: الأية 55.

- معنى الآية، عند السنة، أن تُجعل ولاية النصرة لله ولرسوله والمؤمنين على المؤمنين.

إذ نجد في تفسير الطبري ما يلي:

" يعني تعالى ذكره بقوله: " إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا "، ليس لكم، أيها المؤمنون، ناصر إلاّ الله ورسوله، والمؤمنون الذين صفتهم ما ذَكَرَ تعالى ذِكْرُه. فأما اليهود والنصارى الذين أمركم الله أن تبرأوا من ولايتهم، ونهاكم أن تتخذوا منهم أولياء فليسوا منكم أولياء ولا نُصَراء، بل بعضهم أولياءُ بعضن ولا تتخذوا منهم وليًّا ولا نصيراً. " [22]

- أما الشيعة الإمامية فيسمون هذه الآية بآية الولاية ويقولون إنها في ولاية عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه.وأنها تدل على أنه وآل بيته هم الأئمة، ومن عاداهم فإمامتهم باطلة:

فنجد في تفسير الصافي:

" في الكافي عن الصادق (عليه السلام) في تفسير هذه الآية يعني أولى بكم أي أحق بكم وبأموركم من أنفسكم وأموالكم الله ورسوله والذين آمنوا يعني عليا وأولاده الأئمة إلى يوم القيامة ثم وصفهم الله عز وجل فقال الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون وكان أمير المؤمنين (عليه السلام) في

صلاة الظهر وقد صلى ركعتين وهو راكع وعليه حلة قيمتها ألف دينار وكان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أعطاه إياها وكان النجاشي أهداها له فجاء سائل فقال السلام عليك يا ولي الله وأولى بالمؤمنين من أنفسهم تصدق على مسكين فطرح الحلة إليه وأومأ بيده إليه أن أحملها فأنزل الله عز وجل فيه هذه الآية وصير نعمة أولاده بنعمته فكل من بلغ من أولاده مبلغ الإمامة يكون بهذه النعمة مثله فيتصدقون وهم راكعون والسائل الذي سأل أمير المؤمنين (عليه السلام) من الملائكة والذين يسألون الأئمة من أولاده يكونون من الملائكة ." (23)

هذه المقارنة تحيلنا إلى أنّ اللجوء إلى التأويل يحتل المكانة الكبرى، وعندما يتعلق الأمر بنقل صورة فكرية وفنية وجمالية إلى لغة أخرى تفترض اختلافا جذريا عن اللغة المنقول عنها، فالترجمة إذن ممارسةٌ تفسيريةٌ بالمقام الأوّل .

ومنه نستنتج أنّ التأويل قاعدة ضرورية لفهم أي خطاب أياّ كان نوعه للإحاطة بمقاصد النص وتركيزنا هنا على النص القرآني -الذي دعا أصلا إلى تحرير عقل الإنسان من كل ما يعوقه من أوهام وأساطير -عبر استخدام آليات تفكير هدفُها إجلاء كل الطاقات الإيحائية للكلمات والمعاني التي تختزنها، " فنحن نحصل على الفكرة انطلاقا من ممكنات الدلالة التي تحملها الكلمات وليس انطلاقا من كلمة بعينها" (24)

والترجمة تشرح دلالات النص الأصل وتؤولها، ونحن إذن لا نتكلم فقط على المستوى اللفظي فالترجمة" تقنية تستدعي كذلك معارف أخرى غير المكتسبات اللغوية" (25)، أي أنها تحويل علامات لغوية من لغة إلى أخرى تحتوي داخلها معاني ودلالات اكتسبتها ووُظّفت لها، وبالتالي فإن نقل لفظة من لغة إلى أخرى ضمن عملية الترجمة هي نقل نسبي لمدلول اللفظة المتعددة المعاني في النص الأصل بما يقتضيه السياق، وتعتقد ماريان ليديرير أن:

« Que traduire ce n'est pas seulement transformer des signes en d'autres signes mais qu'il faut, au préalable, déterminer la signification pertinente de ces signes pour trouver la correspondance dans l'autre langue. » (26)

الترجمة: " ليست الترجمة مجرّد تحويلٍ لعلامات لغوية من لغة إلى أخرى. وإنما يجب، قبل كل شيء، تحديد المدلول الدقيق للعلامات كي نجد المكافئ لها في اللغة الهدف."

والناس في رؤيتهم للعالم مجبولون على الاختلاف، وفي أقصى الحالات على الخلاف ونرى مظاهر هذا " **الاختلاف/الخلاف** " مبدئيا في كون عملية " التأويل الذي نمارسه داخل لغة ما لا يمكن أن يحدث الأثر نفسه عندما نقوم باستبدال نظام اللسان الأصلي بنظام آخر، كما هو الحال بالنسبة للترجمة" (27)

في الواقع، فإن كلا من قارئ النص والمترجم يمارسان مستوى من مستويات الفهم والتأويل، هذا المستوى القائم على خلفيتهم الثقافية والتعليمية وقدراتهم الفكرية واستيعابهم وتكوينهم وخبراتهم في سعيهم الحثيث والفطري لمعرفة العالم وفهمه وتأمل عناصره في تفاعلاتها.

وهذا هو بالتأكيد شكل من أشكال الترجمة لأن هذا العالم موجود بوجود مجموع الأفكار التي تترجم هذا العالم، وعليه تقول ماريان ليديرير بأّن المعارف غير اللغوية التي نملكها تساعدنا على استخلاص مدلول الكلمات المرتبة في جمل، بغية إدراك المعنى. وكلما اتسعت المعارف، كلما اتضح المعنى وصار دقيقا.

ويجب الأخذ بعين الاعتبار التفاوتَ -المقصود أو غير المقصود -بين المترجمين في تأويلهم.

وفي هذا الصدد، لا يطلق هايديغر على " الفهم " صفة الإطلاق بل هو "**نسبي**" و"**منفتح**" و"**متجدد**" باستمرار، وإذا كان التأويل وثيق الصلة بعملية الفهم، " فإن الترجمة تجعل النص ينتقل من مرحلة الفهم إلى مستويات الإفهام، وهو ما يضاعف من صعوبة التعامل مع النص المترجم لأنه يتطلع إلى الانتقال بمستوى الفهم في اللغة الأصلية إلى مستويات الإفهام في اللغة المستقبلة وكأنّنا أمام تأويل مزدوج يتحقق عبر مسارين وزمنين منفصلين، ويسهم في بروز عوائق يصعب تجاوزها والتغلب عليها دون إحداث خدوش عميقة في هوية النصوص وهو ما يؤثر سلبا على تماسكها الداخلي". (28)

من هنا ينتقل الحديث إلى جزئية العلاقة بين **الماضي**: زمن الكتابة، **والحاضر**: زمن الترجمة: فنحن نتكلم عن " **قرون** " ما بين زمن نزول القرآن الكريم، فأقدم ترجمة للقرآن الكريم كانت في العام (1143م)، ونزل القرآن الكريم في العام (10 ماقبل الهجرة).

وفي هذا يؤكد (**غادامير**) أنّ من مهام الترجمة نقل المفاهيم والأفكار وتحويلها من الماضي أو من الثقافات الأخرى عبر ما سمّاه «**التوصيل**" إلى الحاضر، فهو يرى أنّ هذا التوصيل لا يعني أنّنا ندع الأشياء مستقرّة على حالها ونحفظها فحسب. وإنّما يعني أن نتعلّم كيف ندرك الماضي ونعبّر عنه من جديد. وبهذا المعنى يمكن لنا القول بأنّ التوصيل يكون مكافئاً للترجمة.

وتتحمل الترجمة بالتالي مسؤولية تاريخية وأخلاقية، ويشترط في المترجم أن يكون واعيا بتلك المسؤولية وعلى قدر عال من الأمانة حتى لا يجني على النص المترجم بأفكار غير حقيقية. فالتأويل كما تقول ليديرير، عملية تتم عامة بشكل عفوي، إلا أنها عند المترجم جهد إرادي يبذله في سبيل إدراك المعنى.

ويذهب مونان إلى أنه " ربما كانت مهارة المترجم الكبرى هي قدرته على أن يظل أمينا على المؤلف في مثل هذه الظروف. وفي ترجمة الأعمال الفنية الأدبية – بوجه خاص – يلزم كثير من الدراسة والعناية للتأكد من عدم المساس بالمعنى الأصل " (29)

لذلك يجب تحرّي أقصى معايير الدقة والوضوح، واحترام الأصل دون أن يقوّل النص ما لم يقله لأنّ " التَّأوِيل إذا تعدى تلك الحدود السابقة فإنَّه لم يعد تأويلاً، عندما يفرض القارئ أي قارئ على النَّص معاني لا يحتملها ولا يطيقها أو أنَّه يرفضها فإن المؤوِّل قد تجاوز الحد والحدود، وانتقل من عملية التَّأوِيل إلى عملية التَّقويل، أي تقويل النَّص ما لا يقول، وربما ما لا يريد أن يقول." (30)

ويعطي الغزالي مثالا عن فداحة التحريف الذي مردّه جهل بعض المترجمين ونقصهم إذ " يسجل الغزالي هذا التحريف فيقول في كتابه ' **تهافت الفلاسفة** ' عن المترجمين إذ:" لم ينفك كلامهم عن تحريف وتبديل محوج إلى تفسير وتأويل، حتى أثار ذلك أيضا نزاعا بينهم" (31)

ومن هنا تبرز فكرة الأمانة والخيانة للنص، إذ أنه ومع مطالع النهضة الأوروبية انتشرت المقولة الإيطالية بخيانة الترجمة: ولقد برزت هذه الفكرة بظهور عبارة الجميلات الخائنات les belles) (infidèlesفي القرن 17 في فرنسا، مع جيل ميناج "Gilles Minages" عندما قرأ ترجمات " بيرو دابلونكور" " Perrot D'Ablancourt" حيث قال: تذكرني بإمرأة أحببتها في مدينة تور" Tours" كانت جميلة و لكنها خائنة، وعنون جورج مونان أول كتاب له بهذا العنوان في العام 1955 وتطرق مجدّدا لهذا المفهوم في كتاب " **اللسانيات والترجمة**" (1976) ، ضمن سلسلة كتب " Cahiers du sud"، حينما قال بأنّ الترجمات عنده كالمرأة، و لكي تكون كاملة ينبغي أن تكون وفيّة وجميلة في نفس الوقت.

أي أن الجمال مطلوب، ولكن ليس في مقابل تنازلات مخلّة، وبالتالي مُذلّة.

فينبغي إذن مراعاة القارئ ومستواه الثقافي والتعليمي لأنّ النص الأصل والترجمة كلاهما موجهان لقارئين بلغتين مختلفتين لتبليغه، فلا يعقل أن يبلغ المترجم رسالة من دون أن يفهمها.

•الخاتمة:

نفهم مما سبق دور المترجم المتسم بالوساطة والمحورية في عملية الترجمة، فهو يكوّن وجهة نظر موضوعية لمعنى النص الأصل خلال القراءة في النص، ثم يعيد تلك الفكرة في شكل لغوي آخر يتبع لغة الأصل ومعاييرها وضوابطها. وعليه الأخذ بعين الاعتبار استراتيجيات اللغات في التعامل مع الوظائف اللغوية المختلفة، فيجب أن يبحث عن نفس الاستجابة اللغوية والمعنوية، على ألاّ يحمل فيه المترجم من النص الأصل تحيزاته الفكرية، وآراءه الخاصة، وأحكامه المسبقة. ومن ثمّ، فإنّ منهج ترجمة القرآن لا يسمح للمترجم أن يترجم القرآن من وجهة نظره الخاصة، كما يتحفّظ على أية أشكال لغوية جديدة في لغة الهدف قد تعرّضه للتحريف.

ومما سبق ذكره، فدور المترجم، الذي تحدّده العوامل اللغوية والتاريخية والأسلوبية، يكمن في:

- مراعاة طبيعة النص القرآني المترجم، الذي لا تخضع بنفس الدرجة للفهم الذاتي أو للتحيزات والأفكار المسبقة.

- مراعاة وظيفة النص القرآني وكذا فئة المتلقين.
- عدم تكييف النص الثقافي بما " يخدم " الثقافة المتلقية، وتتبع منحى ثقافة النص الأصل.
- ومنه، يمكن اللجوء للشرح عبر التهميش مثلا.
- اختيار مكافئ شكلى يستدعي فهم السياق التاريخى المحيط والأسلوبى اللغوي.
- ومنه، فإنّ النظريات التي تمّ تصورها في العالم الغربي عامل مساعد فعلا في تحديد الإطار العام الذي يجب أن يتقيّد به المترجم في ترجمته الدقيقة والأمينة لمعاني القرآن الكريم.

قائمة المراجع والمصادر:

القرآن الكريم

- **باللغة العربية:**

1. أبو زيد، نصر بوحامد، (1994) ، **نقد الخطاب الديني**، سينا للنشر، القاهرة، جمهورية مصر العربية.
2. أبو عثمان الجاحظ (1992)، **الحيوان**، ط2، ج1، تحقيق عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت.
3. الأحمر، فيصل، (2010)، **الخطاب النقدي لدى عبد المالك مرتاض**، الخطاب، منشورات مخبر تحليل الخطاب جامعة مولود معمري، تيزي وزو.
4. التوحيدي، أبو حيان، (2011)، الإمتاع والمؤانسة، ج1، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، لبنان.
5. الحلاق، محمد راتب، (2012)، مجلة معالم الأدبية.
6. الجرجاني، (بدون سنة)، عبد القاهر، **دلائل الإعجاز**، قراءة وتعليق: محمود محمد شاكر.
7. الخلوصي، صفاء ، (1982)، **فن الترجمة في ضوء الدراسات المقارنة**، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، بغداد العراق.
8. الزاوي، حسين، (2009)، **التأويل والترجمة: مقاربات للآليات الفهم والتفسير**، تأليف: مجموعة من المؤلفين ترجمة وتحقيق: إبراهيم أحمد. الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، لبنان.
9. الراجحي، عبده (1979) ، **النحو العربي و الدرس الحديث**، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان.
10. الطبري، (1994)، **تفسير : جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، المجلد 03، مؤسسة الرسالة، بيروت لبنان.
11. السيد أحمد، عزت،(2012)، **مجلة جامعة دمشق**–المجلد 28 - العدد الأول .
12. بنيس، محمد، (1990)، **الشعر العربي الحديث:** بنياته وإبدالا ته، ج1، ط1، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء المغرب.
13. بيوض، إنعام، (2003)، **الترجمة الأدبية: مشاكل وحلول**، دار الفارابي ANEP، ط1، بيروت، لبنان.
14. تابليت، علي،(1996)، **الترجمة في العصرين العباسي والأموي**، مجلة جامعة الجزائر، العدد2.
15. جمال محمد جابر، (2005)، **منهجية الترجمة الأدبية بين النظرية والتطبيق : النص الروائي نموذجاً**، دار الكتاب الجامعي، العين، الإمارات العربية المتحدة.
16. رضوان، جويل، (2010)، موسوعة الترجمة، ترجمة: يحياتن محمد، منشورات مخبر الممارسات اللغوية جامعة مولود معمري، تيزي وزو، الجزائر.
17. صبولسكي،برنارد،(2010)، **علم الاجتماع اللغوي**، ترجمة عبد القادر ستقادي، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر..
18. عبد السلام، بنعبد العالي، (2006)، **في الترجمة**، المنشورات المزدوجة اللغة – سلسلة المعرفة الفلسفية، دار توبقال، الدار البيضاء، المغرب.
19. عناني، محمد، (2000) ، **نظرية الترجمة الحديثة: مدخل إلى مبحث دراسات الترجمة**، الشركة المصرية العالمية للنشر-لونجمان.
20. عناني، محمد ، (1997)، **الترجمة الأدبية بين النظرية والتطبيق** ، مكتبة لبنان/الشركة المصرية العالمية للنشر-لونجمان، القاهرة.
21. عناني، محمد، (2000)، **فن الترجمة** ، الشركة المصرية العالمية للكتاب – لونجمان للنشر، ط5، الجيزة مصر.
22. عناني، محمد زكريا،(1980)، **الموشحات الأندلسية**، سلسلة عالم المعرفة، العدد 31.
23. محمود، عبد الحليم، (1985)، **التفكير في الإسلام**، دار الكتاب اللبناني، مكتبة المدرسة، بيروت، لبنان.
24. مونان، جورج، (2002)، **علم اللغة والترجمة**، ترجمة أحمد زكريا إبراهيم، المشروع القومي للترجمة المجلس الأعلى للثقافة، الجيزة، القاهرة، مصر.
25. هانز- جيورج جادامير،(1997)، **تجلّي الجميل ومقالات أخرى**، تحرير روبرت برناسكوني، ترجمة ودراسة وشرح سعيد توفيق، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، مصر.
26. هلال، محمد غنيمي،(1990)، **الأدب المقارن**، ط، 1دار الثقافة للطباعة و النشر و التوزيع، عمان، الأردن.

- **باللغة الأجنبية:**

1. Basil A Hatim, Jeremy Munday, (2005), ***Introducing Translation: An Advanced Resource Book*** (Routledge Applied Linguistics), Routledge; New Ed Edition.

2. George Steiner, (1998), ***After Babel, Aspects Of Language And Translation,*** Oxford University Press; 3 Edition,

3. Jakobson, R. (1959/2000) **`*On Linguistic Aspects Of Translation',*** In L. Venuti (Ed.).

4. Baker, M, (2001), ***The Routledge Encyclopedia Of Translation Studies,*** London And New York: Routledge,

5. Joëlle Redouane, (1996), ***Encyclopédie De La Traduction,*** Office Des Publications Universitaires, Ben Aknoun, Alger.

6. Lederer, Marianne, Seleskovitch, Danika, (2001), ***Interpréter Pour Traduire,*** Didier Erudition, Paris, 4è Edition,

7. Marianne Jorgensen & Louise J. Phillips, (2002), ***Discourse Analysis As Theory And Method***, Sage Publications Ltd.

8. Munday, Jeremy, (2001), ***Introducing Translation Studies: Theories And Application,*** London & New York, Routledge,.

9. Newmark, Peter, (1988) ***A Textbook Of Translation***. Longman Press.

10. Nida, E. A, (1964) ***Toward A Science Of Translating,*** Leiden: E. J. Brill.

11. Nida, E. A. And C. R. Taber, (1969) ***The Theory And Practice Of Translation,*** Leiden: E. J. Brill.

12. Steiner, G. (1975, 3rd Edition 1998) ***After Babel: Aspects Of Language And Translation,*** London**,** Oxford And New York: Oxford University Press.

13. Venuti, Lawrence, (2000), ***The Translation Studies Reader,*** London & New York, Routledge.

- **مواقع إلكترونية:**

- http://www.hodaalquran.com, Seen on : May, 24th, 2018. 11.21 AM.

الهوامش

(1) (Mustapha, Hassan, in: Mona Baker, 2011, 226.)

(2) (الجاحظ، 1992، 77- 78)

(3) (م، ن، 76)

(4) (التوحيدي، ابو حيان، 115-116)

(5) (Nida, 1964, 146)

(6) (Jakobson, Roman, 2000, 116)

(7) (Steiner, 1976, 239)

(8) (Ibid, 261)

(9) (بيوض، عن رضوان، 45:2003)

(10) (بيوض، عن رضوان، 26:2003)

(11) (Hatim, Basil, 2001:68)

(12) (الأحمر، فيصل، العدد06، 140:2010)

(13) (م، ن)

(14) (Jorgensen & Phillips, 2002:156)

(15) (Mustapha, Hassan, in: Mona Baker, 2011, 226.)

(16) (أبوحامد، نصر،1994، 140-141)

(17) (الحلاق، محمد راتب،04:2012).

(18) (م، ن)

(19) (الحلاق، محمد راتب،04:2012).

(20) (بنعبد العلي، عبد السلام، 24:2006).

(21) (الراجحي، عبده ، النحو العربي و الدرس الحديث.ص، 122).

(22) تفسير الطبري، المجلد 03، ص.122، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، 1994

(23) http://www.hodaalquran.com/rbook.php?id=7037&mn=1, Seen on : May, 24th, 2018. 11.21 AM.

(24) (الزاوي، 13:2009)

(25) (رضوان، جويل، ترجمة محمد يحياتن، 33)

(26) (Lederer, Marianne, 15:2001)

(27) (الزاوي، 13:2009).

(28) (الزاوي، 11:2009).

(29) (مونان، جورج، ترجمة أحمد زكريا إبراهيم،09:2002)..

(30) (السيد أحمد، عزت، 535:2012)

(31) (عبد الحليم محمود، عن الغزالي،283:1985).